ـ(11)ـ

الفطرة دورها في تحقيق هذه الوحدة واستمرارها باعتبار بساطة الحياة الاجتماعية، وعدم وجود التعقيد في ظروفها، سواء على مستوى حاجات هذا الإنسان ومتطلباته التي تفرضها عليه غرائزه وشهواته، أو على مستوى الإمكانات والقدرات التي يملكها هذا الإنسان، والتي تجعله غير قادر على بسط نفوذه، والتوسع والامتداد ليشمل مساحات جديدة من الحياة الاجتماعية بحيث تؤدي إلى دخوله في التناقض مع المساحات الأخرى، أو على مستوى المعرفة والفهم للوسائل والأسباب التي تخلق له أنواعاً جديدة من الآفاق والطموحات والأهداف والمقاصد.

ويمكن أن نتصور هذه المرحلة الأولى من الحياة الإنسانية التي كانت تتحكم فيها الفطرة وتسيرها في ظل هذه الظروف الملائمة. إن الإنسان فيها قد يحدث له بعض التجاوزات الفردية التي كانت تظهر بسبب الهوى، ولكن سرعان ما يرجع إلى فطرته عندما تهدأ سورة الهوى من حقد أو حسد أو غضب أو شهوة، كما يشير القرآن الكريم إلى ذلك في حادثة ابني آدم: (واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل ا من المتقين)(1). ظاهرة الاختلاف:

وبعد هذه المرحلة ـ ومرور فترة زمنية معينة تكامل فيها المجتمع البشري وتوسع في إعداده وحاجاته ومتطلباته ـ جاءت فترة الاختلاف في البشرية.

ويبدو من القرآن الكريم أن البشرية في جميع أدوارها كانت محكومة بما يمكن أن نسميه ـ(قانون الاختلاف)، (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلاّ من رحم ربك ولذلك خلقهم...)(2)، حيث إن الاختلاف

---

1 ـ المائدة : 27.

2 ـ هود : 117 ـ 118.